

تقديم

بقلم د. محمد عبد المجيد قويسى

أستاذ العلوم السياسية المساعد

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة

ليس هذا تقديمًا للكتاب فى محتوياته ، وإن كانت تلك المحتويات من الأصالة والعمق المنهجى ، الأمر الذى تحتاج معه إلى ما هو أبعد من محاولة القراءة والتقديم الذى تتضمنه هذه السطور ، ولكنه - فى بعض جوانبه - محاولة للوفاء بدين نحو أستاذنا - العلامة الجليل - الذى وضع هذا الكتاب مفرقًا فى مقالات ودراسات علمية تجمعها وحدة الموضوع وريادته ، وجدية التناول وأصالة منهجيته . . . وقد جاءت سلسلة تحت عنوان واحد هو (سوف أظل عربياً) وبلغت خمسين وعشرين مقالة .

وشاءت إرادة الله أن يكون التعليق على هذه المقالات والدراسات والسعى لتعميم استفادة الأمة منها عبر إعدادها والقيام على أمر نشرها على يد عالين فاضلين ، لهما علينا وعلى الكثيرين من أجيالنا فضلاً كبيراً فى التربية والتوجيه ، وتقديم الأسوة الحسنة تواضعاً ، وعلماً ، وجهاداً ، فشرف هذا القلم وصاحبه أن يقدم لهذا العمل القيم المتميز عندما طلبا منه ذلك الأمر .

ورغم التنوع الكبير لاهتمامات مؤلفنا العلمية ، والجهد الموسوعى المبذول فى كتاباته ودراساته ، مما يضع صعوبة حقيقية أمام أية محاولة لرصدها والتقديم لها ، إلا أن الموضوع الذى تدور حوله المقالات والدراسات الواردة بين دفتى هذا الكتاب تقع موقع القلب فى اهتماماته ودراساته كما أتصور ؛ إذ أنها تدور حول مسؤولية العالم والمفكر تجاه قضايا أمته المختلفة ، ودوره فى النهوض بها متصدية لمشاكلها وأزماتها - وهى مسألة ألح عليها فى أكثر من موضع ومؤلف من مؤلفاته - إن هذه المقالات تعكس نوعاً من الفكر الحركى له مقاييسه ومعايير فى التحليل والنظر ، الأمر الذى ينبغى أن نأخذ فى الاعتبار ، أو هو - بالأصح - نوع من (العلم النافع) الذى عرفته أمتنا فى فترات صعودها وإيناعها التاريخى .

لقد أعلن مؤلفنا - فى أكثر من موضع فى مقالاته ودراساته - أنه آن الأوان بعد أن

ظل فترات طويلة من المعاناة معتكفاً في صومعة العلم ؛ أن يخرج للأمة حاملاً راية الجهاد ضد الجهالات العلمية ، والتخلف الفكرى ، وكما يقول في أحد هذه المقالات : « هناك لحظات فى تاريخ المجتمعات يتعين فيها على المفكر والفيلسوف أن يخاطب رجل الشارع ، يثير فيه عناصره النفسية الدفينة ، ويدفع من خلال قرع الضمير الجماعى ذلك الرجل العادى ليحيله إلى قوة خلاقة ، تنطلق فى عملية إيمان بالذات لتصير فيضاً يتحكم فى مصائر الحركة » ، وينطلق من وعى حقيقى بتدهور أحوال الأمة وأوضاعها : « نحن نسير من سيئ إلى أسوأ ، وكل يوم يمر هو خير من الحاضر ، وكل يوم هو أكثر تدنياً من هذا الحاضر . . إن الأرض العربية أضحت مسرحاً واسعاً للعرائس واللامعقول ، فكيف يستطيع المحلل الناقد أن يهرب من هذا الواقع ؟؟ » .

ويحيل هذا الوعى بواقع الأمة إلى عناصره التحليلية الأساسية ، فيرصد مؤلفنا ثلاث قوى أساسية تنخر فى جسد الأمة ، وتسلك فى منطقتنا لتكون نوعاً من السرطان الذى هو وحده قادراً على شل الإرادة :

أولها : القيادات الحاكمة .

ثانيها : الثروة التى وُضعت فى أيد غير صالحة ، وغير أمينة على استغلالها .

ثالثها : أهل الفكر الذين خانوا قضية أمتهم ، وأضحوا أبواقاً وظيفتها القيام بعملية الزفة السياسية للحاكم أو للمستعمر .

وبكفاحية العلماء الذين يقومون بأدوارهم فى الحياة إزاء قضايا أمتهم الوجودية ومصائرها ، ولا يضمنون عليها بما يمتلكون من علم ومنهج ، راح يعمر واقع الطبقة المثقفة التى خانت قضية أمتها ، والقيادات السياسية التى حكمت المنطقة منذ الأربعينات وحتى الآن ويصفها بأنها من أسوأ أنواع القيادات التى عرفتها أمتنا فى تاريخها الطويل يقول بصراحته المعهودة .

(طبقات حاكمة قد نسيت إلا أنانيتهما ، و (ديدان) استطاعت أن تتسلق لتصل إلى أقصى القمة ، ولكنها لم تعد تذكر طبيعتها منذ أن تربعت فى كراسى السلطة ، وظنت أنها قد اكتسبت خصائص القيادة ، وقدرات فكرية انقلبت إلى مجموعة من الصفاقة) .

ولكنه يدرك - بحكم خلفية تكوينه العربى الإسلامى - أن ذلك الوضع هو تصديقاً للمأثور « كما تكونوا يول عليكم » ، ولذلك نراه يقول بصراحة معهودة : (إن الطبقات الحاكمة ليست إلا تعبيراً عن فساد الجسد ورخاوة الإرادة ، وتعفن الضمير ، وكل شعب لا يحكمه إلا من يستحقه ويعكس جميع خصائصه من قوة وضعف) .

إنه فى هذه المقالات وهو يعلن بوضوح - سوف أظل عربياً - بوجه ثلاث رسائل

تنطلق من مضمون واحد ، وحقيقة فكرية ومنهجية مترابطة :

1 - رسالة إلى الأمة التى ينتمى إليها - فى شخص ابنه الذى يرى مستقبله فى مستقبل أمته - يذكرها بماضيها الناصع الخالد ، ويرصد حاضرها الناطق بالعجز الشامل عن إرادة الفعل ، ومستقبلها المهدد بخطر الاختفاء الحضارى من على خارطة الوجود الإنسانى . وفى مخاطبته وحديثه للأمة لا يُحمّل جيلاً واحداً منها مسؤولية ما وصلت إليه من تمزق وقنوع : (لا تتصور يا بنى أنها محنة جيل واحد ، لقد حمل ذلك الجيل الذى تنظر إليه مستنكراً المأسى المترسبة خلال عشرة قرون على الأقل . . إن هذا الجيل هو حلقة فى سلسلة طويلة من الأجيال التى تنكرت لتعاليم آبائها فى هذه المنطقة ، أجيال تركت الآخرين يشكّلون منطقها وعقلها على المستوى الفردى والجماعى ، فأضحت لقمة سائغة فى يد قوى معادية لا يمكن إلا أن تقف من رسالتنا التاريخية موقف الرفض والعداوة) .

إن هذه الصفحات الخالدة التى كتبها مؤلفنا هى مجموعة من (الرسائل) لضمير الأمة ووعيتها ، تهدف إلى الكشف عن مكنونات الجسد وقدراته . . . وتشحذ - بقدر الوعى بخطورة التردى - العزائم والهمم بمستقبل الأمة إذا أخذت زمامها بأيدي أبنائها . إن النهضة التى طالما سمعنا عنها ، والتى تحدث أكثر من مفكر واحد يذكر فضلها ، لا تزال فى الأفق لم تحدث بعد ، أنت - يا بنى - الذى سوف تخلق هذه النهضة ، وليس أمامك إلا أن تعود إلى آباءك الأوائل تسألهم ، وتسترشد منهم عن حقيقة وظيفة الأمة التى تنتمى إليها ، والتى اختارتها القوة العليا ؛ لأن تقود الدعوة للعودة إلى حظيرة القيم المثالية . لا تنظر إلى ما حولك . إن الفارس الحقيقى لا يلقي ببصره إلى ما هو أسفل أقدامه . . وإنما يتجه ببصره إلى الأمام - إلى المستقبل .

2 - رسالة إلى الفئات والطبقات المثقفة فى الأمة - ورغم أنه يعنى تماماً الأدوار التى يقوم بها معظم أهل الفكر من هذه الطبقة فى هذه الأيام ، ويعلن مردداً مع عالم الأسكندرية د. محمد محمد حسين - رحمه الله تعالى - : (حصوننا مهددة من الداخل) ، ولكنه يدرك بوعى أن هؤلاء واقع ينبغى أن يتم التعامل معه . (هناك مجموعة أخرى من الأسباب تقودنى إلى أن أتحدث مع أولئك الذين شاءت الأحداث إلا أن تجعل لهم وزناً فى عالمنا المعاصر ، أولئك الذين يخرجون علينا من آن لآخر يُشَنِّقون آذاننا بأسطورة الحضارة الغربية تارة ، وتارة أخرى بحديث السلام . كذلك تلك المجموعة من الأذئاب التى تتكون من حصيلتها ما نسميه بظاهرة (الزفة السياسية) ، فى حاجة إلى نوع من المنطق واللغة التى لا بد وأن تفرض عليهم أن يتساءلوا بينهم وبين أنفسهم عن حقيقة تلك الموجات الكاذبة التى تحيط بنا ، والتى ليست إلا تعبيراً عن ظاهرة المرض التى هى بدورها تملك

وظيفتها ؛ لأنها ضرورة تفرضها طبيعة الوجود الإنساني ، حتى نستطيع أن نكتشف مدى صلابة إيماننا ورسوخ عقيدتنا ، ولماذا نذهب بعيداً ؟ ألم يقل رسولنا الكريم : « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » ؟

وفى نفس الوقت يدرك مؤلفنا وظيفة الطبقة المثقفة والقيادات الفكرية - فى تقاليدنا الحضارية العربية الإسلامية - يقول بوضوح : (إن تاريخنا هو قصة الأئمة الأربعة الذين لم يتردد أى منهم فى أن يقف من السلطان الحاكم موقف المراقبة والمحاسبة ، ولو على حساب حياته وحرية . إن هذا التاريخ هو أيضاً قصة⁽¹⁾ أحمد بن حنبل الذى تحدى خلفاء ثلاثة ، ولم يتردد فى أن يقف وحيداً مهاباً يرفض نظرية فكرية كاملة ، وليجعل رأى العام - فى عالم لم يكن يعرف بعد ما تعنيه هذه الكلمة - يثور على الخليفة العباسى ، ويجعله يتراجع وينحنى إجلالاً وتقديساً) .

وهو ينطلق فى ممارسته الفكرية والقيام بوظيفته الكفاحية من هذا المنطلق ، فيها هو يخاطب أحد القيادات السياسية الحاكمة (هل قرأت سيدى قصة الفلاح الفصيح ؟ لقد كان فرعون هو الحاكم بأمره ، بل هو الإله الذى تقمص شخص أحد أبنائه . ولكنه إزاء شعبه هو المصلح والراعى لمصالح أمة . . . وذلك منذ ستة آلاف عام . فهل عدنا إلى الوراء ؟ ثم جاء الإسلام ليضيف تقاليد أخرى أكثر تقدماً وأكثر حنكة . وأحد هذه التقاليد أن من واجب الفقيه أن يقول للحاكم كلمة ينصحه ويرشده فإن لم يقبل النصح ينذره ويتوعده ، فإن تمادى فى غيه يرفع عليه سيف العصيان ، ويلجأ إلى جميع الوسائل المشروعة لإعادته إلى الطريق السوى أنت الحاكم ولكننى الفقيه ، أنت صاحب الحق فى الأمر ولكننى أنا وحدى الذى يعبر عن الضمير الجماعى فى أنقى صورته . . .) .

ولكن هل تعى الطبقة المفكرة والمثقفة فى أمتنا هذه الرسائل ؟ أم أنها سوف تظل سادرة فى خيانة قضايا أمتها وممارسة كل أشكال الزفة السياسية وأنواعها خدمة لأى حاكم ؟؟

3 - رسالة إلى الطبقات والقيادات الحاكمة فى العالم العربى . . . وقبل الدخول فى هذه الرسائل التى يمكن تسميتها كتابات (الحكمة السياسية أو مرايا الأمراء - Mirrors of Princes) ، يتناول بالتحليل خصائص الكثير من الطبقات القيادية التى تسيطر على مصير الأمة العربية :

1 - تخلف المنطق القيادى وعدم المقدرة على استيعاب حقيقة التطورات ، والانفصال عن الطبقات الحاكمة فى أبراج عاجية تسودها الأنانية والتجمد ، وعدم وضوح الرؤية .

(1) سلسلة أعلام المسلمين ، 17 ، أحمد بن حنبل إمام أهل السنة (164 م - 241 هـ) ، عبد الغنى الرفر دار القلم ، دمشق 1979

2 - عدم القدرة على إعطاء كل موقف وزنه الحقيقي أو التعامل معه من منطلق الفاعلية ، والقدرة الواعية .

3 - تعود هذه القيادات على الكذب وممارسته بعناد وصلابة حتى انتهت بأن تصدق هي ذاتها تلك الأكاذيب ، يساعدوا على ذلك خوف من تحول السلطة عنهم ، واستعداد المواطن للتملق ، الذى تحول إلى سلوك ثابت وصار شرطاً أساسياً للحصول على البعض من الحكام يعتقد أن الكذب هو تعبير عن الدهاء والقدرة على التلاعب بالموقف ، هم يتصورون أن هذه هي المكيافيلية المثالية !!

4 - القيادات العربية بالموقف لا تفهم ، ولا تعرف ، ولا تقبل فن المناقشة ، وهي لا ترى في هذه المناقشة وسيلة للوصول إلى الحقيقة ، وإنما تراها أسلوباً من أساليب عدم الاحترام - هذا ليس إلا النتيجة الطبيعية لعدم الثقة فى الذات - فإذا فُرض على هذه القيادات المناقشة المنطقية فى موقف ما - فإنها تنتقل ببساطة وسهولة إلى الإسفاف والبداءة .

* ويوجه مؤلفنا رسائل لمجموعة من القيادات العربية الحاكمة - يضعهم أمام مسؤولياتهم التاريخية ، ويوضح لهم الأخطار المحدقة بمصير أمتهم .

يبدأ بالموقف السورى ويخاطب الرئيس الأسد . . . ومن ضمن ما يطالبه الإجابة على عشرة أسئلة (لا يستطيع أن يتخلى عن مسؤوليته عنها) ، وتلخص الإجابة عنها تاريخ الحكم البعثى العلوى فى سوريا يقول : (لماذا التخلّى عن منطقة الجولان فى عام 1967 ؟ لماذا خيانة الفلسطينيين فى عام 1967 ؟ . . . إلخ) . ويتعمق فى تحليله مخاطباً الأسد : (وسياستك - سيدى الرئيس - قد حققت جميع أهداف إسرائيل بما لم يكن يتصوره بن جوريون ذاته . . . أنت تعلم أن التوازن الحالى لم يعد فى صالحك ، ولا لصالح الأمة العربية . . .) إنه مختل ، وفقط لصالح إسرائيل ، يوجه رسائله محللاً الموقف المصرى ، ويخاطب الرئيس مبارك مذكراً إياه بتلك اللحظات التاريخية التى تولى فيها حكم مصر (نعم يا سيدى الرئيس حسنى مبارك ، هذه هى لغة التاريخ ، وعليك أن تفهمها وأن تعيها جيداً . . هل تدرك معنى الأحداث التى مرت بها ؟؟ ألا تتذكر تلك اللحظات الخالدة والمخيفة عندما كنت تجلس إلى جوار الرئيس الراحل أنور السادات ، وكان الشعب قد اتخذ قراره التاريخى ، وقد انهالت عليكم طلقات الرصاص من جانب ، تعلن أن الأمة قد قالت كلمتها ، وأن التاريخ قد أصدر حكمه ، وقد آن لتلك الفئة التى لم تعرف كيف تصون الأمانة أن تختفى من الساحة .

* ويفرّق مؤلفنا بين القيادات المصرية الحقيقية والزائفة فيقول : إن قيادات مصر

الحقيقية ليست تلك الوجوه القبيحة التى أحاطت بالرئيس السادات فى لحظات معينة ،
والتي لا تزال تحيط بخليفته . . . إلخ ، ولكنه يذكر نماذج من قيادات مصر الحقيقية ،
وعندما خان أنور السادات الأمانة التى فى عنقه عن قناعة أو سذاجة ، وقفت القيادات
المصرية الحقيقية قبضة واحدة فى وجهه - نقابة المحامين تجتمع فى القاهرة وتقسم على
محاكمته بتهمة الخيانة العظمى ، والمثقفون يساقون إلى السجون) .

وبعد أن يوجه ملاحظات منهجية للسياسة الداخلية والخارجية المصرية مطالباً بضرورة
الأخذ بها أو التعامل معها ، يبادر بسؤال الرئيس مبارك (هل افترقت مصر للرجال ؟ هل
أصابها العقم فلم يعد بها سوى ذلك الطاقم الذى رقص على كل حبل وغنى بكل مزمار ؟
أليس هؤلاء هم الذين خرجوا يزفون إلينا التهئة بأن مصر لم تفقد سوى حفنة من الرمال
ولكن النظام باق ، وهذا هو الأهم ؟ ثم عادت نفس الجوقة فى عصر السادات لتحدثنا عن
مصر الفرعونية واليوم تتغنى بالحرىات ؟ أليس هؤلاء هم الذين كونوا الثروات ، وبنوا
العمارات ، وامتلكوا الشقق على النيل ؟؟

ويعلم مؤلفنا بوضوح ومنهجية سياسية واقعية : (إن الاستسلام له منطقه وهو
استجداء الحقوق ، وله استراتيجيته وأساسها الحصول على الثمن مقدماً من جانب وشئ
خير من لا شئ من جانب آخر ، وهذه الممارسة - ممارسة الاستسلام - تحتاج إلى حنكة
معينة .

لقد مارسها السادات ولكن الطامة الكبرى أنه وثق بنفسه أكثر من اللازم إلى درجة
الغرور ، وانطلق من أسلوب (البذاءة اللفظية) ، ومنهجية الاستعانة بعناصر هو أول من
احتقرها فى جميع مراحل تاريخه السياسى . . . ومن ثم كانت النتائج المعروفة والمشاهدة .
وفى رسالة ثالثة يوجه مؤلفنا حديثاً مستفيضاً للملك الحسن حاكم المغرب ، محللاً
الأوضاع المفسرة للسياسة المغربية ، ثم يتقل ليسأله :

(ترى أليس من حقى ، ومن حق أى مفكر يئن باسم الضمير العربى أن يتساءل : ما
هو حقيقة الدور الذى تلعبه على مسرح السياسة العربية سيدى الملك ؟؟ وما هى القوى
الخفية التى تحدد هذا الدور وتحرك تبعاً لكل موقف ؟؟) .

وفى رسالة رابعة يوجه مؤلفنا حديثه للعقيد معمر القذافى ، فهو أولاً رجل حركة
وعليه أن يتعد عن الفلسفة ومشاكلها ، ولا يجوز أن تخدعه تلك المجموعة من الصفاقة
والمتسلقين ، الذين أحاط بهم نفسه ليزينوا لقدراته الفكرية والتنظيرية . ولعل هذا يدخل فى
دائرة تلك المسرحيات التى تدعو إلى الضحك أكثر منها إلى البكاء ، والتى ارتبطت بالثورة
الليبية منذ مراحلها الأولى . . .) .

ويشتد فى طرحة عدة أسئلة على العقيد القذافى منها :

أولاً : لماذا تبذير نقود أمتك فى غير صالح أمتك ؟؟

ثانياً : لماذا إهدار كرامة أبناء وطنك وإذلالهم ؟؟

ثالثاً : وما معنى هذا التهريج الذى تمارسه فى نظامك السياسى ؟؟

هذه فقط بعض نماذج من الرسائل التى يوجهها مؤلفنا للقيادات العربية الحاكمة -

وتفاصيلها موجودة بين دفتى هذا الكتاب - تعطى لنا نموذجاً لطبيعة العلاقة بين المفكر

والحركى ، وتوضح لنا دور النظرية فى فهم الحركة ، وترشيد الممارسة السياسية .

إن المحور الثابت الذى يدور حوله المقالات المنشورة فى هذه الدراسة أن لهذه الأمة

طريقها الطويل فى مضمار التقدم الحضارى ، وريادتها فى مسافات التطور السياسى ، الأمر

الذى يختلف عن ذلك التطور الذى تختطه أوربا لنفسها وتسير فيه منذ عصر النهضة وحتى

الآن . . . إنه يتساءل بحق : هل تطورنا أساسه طرد الدين من حياتنا اليومية ؟ وهل دلالة

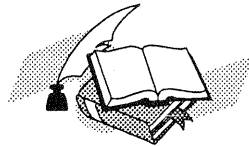
وجودنا هو سيادة المادة على أى قيمة روحية ؟ وهل نحن عنصرىون نؤمن بمفاهيم التفوق

العرقى ؟ أم أن تطورنا يملك منطقاً آخر متميزاً ؟؟ الإجابة بالطبع نعم .

- ومع صفحات هذه الدراسة القيمة لم يعد لنا إلا أن نردد مع مؤلفنا :

هل آن لنا أن نتعلم فن السياسة ؟؟

نعم أمة السياسة لم تعد تعرف معنى السياسة !!



oboi.kandl.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، القائل فى كتابه سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : 28] ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، القائل سبحانه : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : 18] ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، القائل ﷺ : « العلماء ورثة الأنبياء »⁽¹⁾ ، اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه ، ومن نهج نهجه واتبع سبيله إلى يوم الدين .

أما بعد :

فهذه « اثنان وعشرون مقالة من » مقالات^(*) كتبها الأستاذ الدكتور حامد عبد الله ربيع حول موضوع أساسى : « الرجولة السلوكية فى تقاليدنا التاريخية » [سوف أظل عربياً] .

وكاتب تلك المقالات واحد من علماء هذه الأمة - الأفاضل - القلائل الذين نهجوا نهجاً مميزاً فى العلم . . فيكفيه فخراً حصوله على « سبع » درجات علمية (دكتوراه) وهو لم يصل الرابعة والثلاثين من عمره !!

يقول رسولنا ﷺ فى معنى الحديث [إن مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم فى السماء يُهْتَدَى بها فى ظلمات البر والبحر ، فإذا طُمست النجوم أوشك أن تضل الهداة]⁽²⁾ .

وقوله ﷺ حينما ذُكر له رجلان أحدهما عابد والآخر عالم ، فقال : « فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ، إن الله وملائكته وأهل السماء والأرض ، وحتى النملة فى جحرها ، وحتى الحوت فى الماء ليصلّون على معلم الناس الخير » .
كل هذا الفضل للعلماء الجريئين فى الحق ، المحبين للخير ، الأمرين بالمعروف ،

(1) حديث رواه أبو داود والترمذى .

(*) لقد قمنا بنشر المقالات حسب تاريخ نشرها بمجلة الطليعة بفرنسا .

(2) حديث رواه الإمام أحمد .

والناهين عن المنكر ، المحاسبين للحكام الناصحين لهم ، والساهرين على مصالح المسلمين ، المهتمين بأمور الأمة ، المتحملين كل أذى ومشقة فى هذا السبيل .

نعم كل ذلك الإكرام ، للعلماء الذين يحرسون الإسلام ، الأمناء على دين الله سبحانه ، الداعين للحكام إلى تطبيقه بلسان صدق ، وجنان ثابت ، الذين اتصفوا بخلق المرسلين ، فكانت أعمالهم ترجماناً لتعاليم القرآن والسنة ، يقولون للمحسنين : أحسبتم ويقولون للظالمين : ظلمتم .. وللمفسدين : أفسدتم .. وللعاصين لقد عصيتم الله .

يصلحون ما فسد ، ويقومون ما اعوج ، لا يخشون أحداً من الناس ، ولا يخافون لومة لائم ، يقولون للناس جميعاً حكماً ومحكومين : تعالوا من هذا الدرب ، درب الإسلام .. طريق السلامة والنجاة ، صراط الله المستقيم ، صراط الله العزيز الحميد .

* كاتب تلك المقالات واحدٌ من هؤلاء .. الذين لا يهابون سلطاناً جائراً ، ولا حاكماً جباراً - فقد ترك البلاد يوم عم الظلم ، واسودت الدنيا ، فذهب مهاجراً فافتش الأرض ، وظل يبحث .. ويقرأ .. ويجوب المكتبات العالمية ، ليزداد علماً .. إلى أن ظهرت بارقة أمل فعاد إلى الوطن ليواصل رسالته ودعوته التى كرس لها حياته ، ليقدّم له النصيح والإرشاد ؛ لأنه ممن آمن بقول الله عز وجل : ﴿ وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر : 3-1] .

* كاتب تلك المقالات واحدٌ ممن آمن بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿ [البقرة : 159-160] ، ومن آمن بقول الرسول ﷺ : « الساكت عن الحق شيطان أخرس »⁽¹⁾ .

* وتاريخ الأمة ملئ بنماذج العلماء الذين جاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أمثال : سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، وأبو حنيفة النعمان ، ومالك بن أنس ، وإمام أهل السنة « أحمد بن حنبل » ، والشافعى ، والبخارى ، وابن تيمية ، وابن القيم .

ومنهم أيضاً العز بن عبد السلام ، وأحمد بن عرفان الهندى ، وعز الدين القسام ، وعمر المختار ، ومحمد بن عبد الوهاب ، وحسن البنا ، وسيد قطب ، وعبد القادر عودة ، ومحمد محمد حسين ، ومحمد الغزالى ، وجمال حمدان ، وفوزى محمد طایل ... وغيرهم من علماء هذه الأمة الأتقياء الأخفياء الذين أدوا وماتوا وما شعر بهم أحد .

(1) رواه الطبرى فى التاريخ ، وابن كثير .

* وكاتب تلك المقالات واحد من هؤلاء الذين اعتزوا بوطنيتهم ، وعروبتهم وأخذ يصرخ فى كل مقالة بقوله : - سوف أظل عربياً - ولم يكن مجاملاً للملك ولا لرئيس ، فقد وجه نصحه وإرشاده إلى الملوك والرؤساء والقادة وهو ما زال يصرخ فيهم بقوله : - سوف أظل عربياً - ويظهر لهم أن اختلال القوة القيادية ظاهرة متكررة ؛ لأنها حقيقة مأساة الإنسان⁽¹⁾ ، أخذ يبين لهم أن الأمة العربية - الإسلامية - هى أمة القيم الحقيقية⁽²⁾ وظل يبين للناس جميعاً أن الحضارة العربية الإسلامية لها خصائص ثلاثة :

* منطق الانفتاح الذاتى . * الاستمرارية التاريخية . * منطق الحوار الحضارى⁽³⁾ .
وأخذ يواصل نصحه وإرشاده للناس جميعاً - حكاماً ومحكومين - بقوله : « نحن الأمة المختارة بقيمتنا وتقاليدنا وتاريخنا وعلينا أن نعى معنى ذلك جيداً »⁽⁴⁾ وأخذ يوجه سهامه للحاقدين والمستتمين للقومية العربية ، فطرح عليهم هذا السؤال : « أين القومية العربية من السياسة الأمريكية »⁽⁵⁾ .

* أما عن نظام القيم الحضارية أخذ يبين حقيقة « الرجولة السلوكية فى تقاليدنا التاريخية »⁽⁶⁾ ، ويضع لها النسيج المتكامل من أربعة عشر أساساً للأخلاقيات - التى افتقدتها الأمة - ثم أخذ يُقعد للسلوكيات فى تقاليد المسلم الحقيقى ، ثم يوضح العروبة السياسية فى حياة الناس ورببها ترتيباً تنازلياً * طاعة ولى الأمر . * تضامن الأمة . * وتماسك جميع أجزائها . * الجهاد . * السيادة المطلقة للقيم الإسلامية⁽⁷⁾ .

* ثم حدد معالم الدولة القائد⁽⁸⁾ التى يجب عليها أن تقود العالم العربى والإسلامى .
* ثم واصل استذكاره للأحداث التى حدثت فى حرب الاستنزاف التى شنها عبد الناصر⁽⁹⁾ .

* ولم ينس الكاتب - رحمه الله - قضية فلسطين ، وأن يوضح ما حدث لها على يد الصهيونية العالمية ، ويقول للذين يتشدقون بالتزعات القومية ، يقول لهم : « المشكلة الفلسطينية هى أحد عناصر المشكلة القومية العربية ، والتمزق الفلسطينى هو تعبير عن فشل العروبة السياسية ، واستئصال الوجود الإسرائيلى هو محور يجب أن يبرز واضحاً فى أى برنامج للقومية العربية »⁽¹⁰⁾ .

(1) المقالة الأولى . (2) المقالة الرابعة . (3) المقالة السابعة .

(4) المقالة العاشرة . (5) المقالة الثانية عشر . (6) المقالة السادسة عشر .

(7) هناك قيم أساسية وهناك قيم تكميلية وهناك قيم تحسينية، يمكن مراجعتها فى كتاب « نحو نهضة أمة »

كيف نفكر استراتيجياً لواء أ.ح.د. فوزى محمد طایل - مركز الإعلام العربى طبعة عام 1997 .

(8) المقالة السابعة عشر . (9) المقالة الثالثة والعشرون . (10) المقالة الخامسة والعشرون .

أيها القارئ الكريم ..

وهكذا نجد أن الكاتب - رحمه الله - بلغ ... وأندر ... وحذر ... وبين للأمة مسارها ، وأوضح لها الطريق الذي يوصلها - حكماً ومحكومين - إلى بر الأمان فأبرأ ذمته إلى الله - نحسبه كذلك والله حسيبه - .

ونحن نبرئ ذمتنا أيضاً بجمع تلك المقالات المنشورة على صفحات الجرائد والمجلات العالمية في كتابنا « الخامس » من سلسلة نحو وعى سياسى واستراتيجى وتاريخى ، أداءً لواجب البلاغ لعل الأمة - حكماً ومحكومين - تهب من ثباتها ، وتفيق من غفلتها ، وتعرف حقيقة مرضها ، فتتعاطى الدواء النافع ، ليصح الجسد ، وينشط القلب ، فإذا صلح القلب صلح الجسد كله ، وبذلك تعرف الأمة مهمتها نحو البلاغ والقيادة والريادة .

إن فى ذلك لبلاغاً للناس ، والله من وراء القصد .

جمال عبد الهادى مسعود
عبد الراضى أمين سليم

